

- 23 - سورة النساء - الآية: 82.
- 24 - سورة آل عمران - الآية: 7.
- 25 - سورة يونس - الآية: 44.
- 26 - سورة النساء - الآية: 44.
- 27 - سورة الجاثية - الآية: 23.
- 28 - سورة الاعراف - الآية: 54.
- 29 - سورة الشورى - الآية: 11.
- 30 - سورة التوحيد - الآية: 4.
- 31 - سورة البقرة - الآية: 286.
- 32 - سورة الانعام - الآية: 151.
- 33 - سورة التوحيد - الآية: 1.
- 34 - سورة التوحيد - الآية: 3-4.
- 35 - سورة فصلت - الآية: 46.
- 36 - سورة الزمر - الآية: 56.
- 37 - سورة الزمر - الآية: 68.
- 38 - سورة القمر - الآية: 14.
- 39 - سورة الرعد - الآية: 27.
- 40 - سورة محمد - الآية: 23.
- 41 - سورة التوبة - الآية: 93.
- 42 - سورة هود - الآية: 1.
- 43 - سورة الزمر - الآية: 23.
- 44 - سورة آل عمران - الآية: 7.
- 45 - سورة النجم - الآية: 3-4.
- 46 - سورة طه - الآية: 49-50.
- 47 - سورة الاحزاب - الآية: 40.

الإتصال والتواصل بين الرسالات السماوية

د/ محمد حسين المكنى
بأبي شهاب الدين
المركز الجامعي - ورقلة -

1- مقدمة:

لماذا الإتصال والتواصل بين الرسالات السماوية؟

ينبغي للديانات السماوية أن تتصالح مع بعضها وتنسق جهودها لتستطيع أن تخدم بحق قضية السلم حيث أن الواقع البشري المعاصر يضطرها إلى ذلك إضطرارا من حيث أن الدراسات المستقبلية تكاد تجمع على أن ظروف الكائن الإنساني على هذا الكوكب ستعرف نوعا من الصعوبة تشكل خطرا يهدده في وجوده ذاته.

فالتنافس الإقتصادي أدخل إلى حد خطير بالتوازن البيئي فضلا على أن النظم السياسية والثقافات السائدة والغلبة أخلت بالتوازن الإجتماعي العام على سطح الكوكب الأرضي حيث أن الثروة الإقتصادية جمعت بنسبة كبيرة في يد فئة محدودة ولم يبق لأغلبية سكان الأرض إلا فتاة يتقاتلون عليه يضاف إلى ذلك أن تطور الطب ووسائل العلاج أسهم في تفاقم النمو الديمغرافي إلى حد كبير الأمر الذي قد يترتب عنه عجز موارد الكوكب عن تلبية الحاجات الأساسية لسكانه، كما أن تجمع التقنية المتطورة جدا في يد البعض قد يترتب عنه خطر يهدد الكرامة الإنسانية فيصبح البعض سادة والبعض عبيدا.

وهذا الخلل نفسه سيبقى عاملا يغذي الصراعات وينشط الحروب، ولا نأمن أن تلجى الرغبة في الإنتصار، طرفا من أطراف الصراع إلى إستخدام الأسلحة ذات التدمير الشديد التي قد لا تصيب بأضرارها طرفي الصراع

فحسب بل قد يشمل أثرها الكوكب الأرضي بأسره، وقد يجعل الحياة عليه مستحيلة.

فكيف السبيل إلى الوصول إلى حل يكفل لنا ضمان استمرارية الوجود الإنسانية والحفاظ على مقومات الحياة ماديا واجتماعيا على هذا الكوكب.

نعتقد بصدق أن ذلك لا يتحقق إلا بتظافر جهود نخبة المجتمع الإنساني وأخصهم أهل الديانات السماوية بالذات، وهم في نظرنا قادرون على ذلك لو أرادوا شريطة أن يتفهموا مبررات وجود هذه الديانات وما تتوخاه من غايات فعلية، وهذا ما سأحاول في مداخلتني هذه أن أثبته ولو بإقتصادي على طرح وجهة نظر الديانة الإسلامية من خلال ما كشفت لي عنه وثائق هذا الدين من قرآن وحديث.

ولعل إخواني ممثلي الديانات الأخرى يحذون حذوي وتلتقي جهودنا على إيجاد قاعدة مشتركة تسمح لنا بالتنسيق والعمل خدمة لهذه القضية الجليلة والتي هي الحفاظ على استمرار الوجود الإنساني وحضارته في ظل مقاصد الشرائع السماوية التي هدفها في الأصل تمجيد الله وحده، وتوفير شروط حياة آمنة مستقرة مستمرة ولكل ما خلقه الله على هذا الكوكب ولتستمر عبادة الله وتمجيده وحده لا شريك له.

وتوصلا إلى ذلك لا نرى أمثل ولا أجدى من التمكين للإتصال وتعزيزه ومقاومة الرغبة في الإنفرادية والعزلة والتقوقع التي عانت منها الديانات السماوية، وكانت سببا مباشرا لتغذية سوء الظن فيما بينها.

فبالإتصال يمكن أن تتعارف وتكتشف أن لديها عوامل التفاهم والإتفاق والتكامل والإتحاد أكثر مما يفرق بينها، وبالإتصال يمكن حدوث عملية التواصل والتفاعل التي تفضي بدورها إلى تبادل المعارف والخبرات وتنسيق الجهود مما يجعل هذه الديانات تتفق على توحيد مواقفها تجاه القضايا الحساسة في الحياة الإنسانية وتمارس ضغطها على النظم السياسية وتحملها على إحترام الوجود الإنساني وضمان الحقوق الأساسية للإنسان كالحق في حرية الإعتقاد وسلامته

وأمنه، والحق في الصحة والتعليم والحماية الاجتماعية أي الحفاظ على حقوق الإنسان وكرامته وأمنه وإستقراره.

هذه الحقوق التي تكفلت بها منظمات إنسانية عالمية لا علاقة لها بالدين، فالأولى ان يبادر أهل الديانات السماوية وممثلوها بأخذ المبادرة في هذا المجال، فهم أولى وأحق على اعتبار أن الأصل في الدين أيا كان هو أن يضمن شروط البقاء للإنسان بالمحافظة على الكليات الخمس - المحافظة على دينه ونفسه وعقله ونسله وماله...

وهذا أمر لا تختلف عليه الديانات السماوية.

وهذا ما يؤكد الإسلام على الخصوص، فالله سبحانه وتعالى أكد في كتابه الكريم على أن التعارف واجب ومطلوب حيث قال: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم». (1)

إن الإسلام يدعو إلى التعايش السلمي العالمي والإعتراف بحق الآخر ما أعترف به الآخر، واحترام حقه في الوجود، بل يذهب إلى أبعد من ذلك ويقترح التعاون والتكامل على الإنتفاع بخيرات الأرض وكنوزها، بدليل قوله تعالى: «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي». (2)

فن أحب أن يدخل الإسلام فله ذلك، ومن أراد البقاء على معتقده فله ذلك على أن لا يكيد للمسلمين، ويتعاون معهم باعتباره مواطنا له، كامل حقوق المواطنة، وإذا قبل ذلك وتم الإقرار به يصبح التعاون واجبا ومفيدا للطرفين بدليل قوله تعالى: «ولكل وجهة هو موليها، فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير». (3)

2- معنى الإتصال والتواصل:

الإتصال غايته ومرماه ومقاصده هي التواصل والإستمرار وتبادل المنافع والمصالح والفوائد كيفما كانت سواء كانت مادية إقتصادية أو معنوية

مثل القيم الثقافية والأخلاقية والسلوكية، حيث أن إستمرارية الوجود الإنساني على هذا الكوكب الأرضي، يتطلب تضافر الجهود وتضامن الأفراد والجماعات وتعاونهم بدليل قوله تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى...»⁽⁴⁾.

فالتعاون الذي ينتج عن الإتصال والتواصل بواسطة الحوار هو الذي يؤدي إلى التقارب والتفاهم والإتفاق والتآلف والمحبة للتغلب على المشاكل والصعوبات والمستجدات الحياتية على جميع المستويات «والحوار هو السبيل إلى بلوغ الهدف والوصول بالبشرية إلى بر السلام، فمستقبل الإنسانية جمعاء يتعلق بحل إشكالية التفاهم المتبادل بين الشعوب»⁽⁵⁾.

3- وجهة نظر الإسلام في الإتصال والتواصل بين الرسالات السماوية:

لقد جاءت الآيات القرآنية تؤكد وتؤيد عملية الإتصال والتواصل وفتح جسور التقريب بين الرسالات السماوية على أساس الإحترام المتبادل والعلاقات الطيبة والمعاملات الحسنة كي يستمر «الدين لله والدعوة إلى سبيل الله حتى في أشد الظروف وأصعبها»⁽⁶⁾ وأول ما أهتم به القرآن في هذا المجال هو لفت إنتباه المسلمين إلى أن من بين النصارى رجال مؤمنون حقا ويكونون المودة لهم وهذا واضح في قوله تعالى: «ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون»⁽⁷⁾ ووجود هذه الآية في القرآن إنما جاء من باب التحفيز لبناء علاقة تعاون بين المسلمين وهذا الصنف من النصارى خدمة للحق وإبقاء عليه، ولا يجتزئ القرآن على مجرد التنبيه إلى وجود أخيار في النصارى بل يذهب من أجل التمكين للإتصال والتواصل إلى الدعوة إلى التعاون حتى إذا إقتضى هذا التعاون وجود ما يميز بين الديانات فيدعون إلى نبذ الإختلافات والحرص على الإتفاق على الفكرة الجوهرية وعليها نبني علاقاتنا ونؤسس تعاوننا وهذا واضح في قوله تعالى: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله» ولو ذهبنا نستقصي آيات القرآن الكريم لوجدنا الكثير منها يؤكد بإلحاح على ضرورة التعاون وتوظيف الجهد

الإنساني لمختلف أتباع الديانات السماوية حفظا للحياة وتحقيقا لسعادة الإنسان، وليس القرآن وحده حض على تعاون الديانات السماوية بل ان الرسول أيضا دعا إلى ذلك في المعاهدات التي أمضاها الرسول عليه الصلاة والسلام في المجتمع المدني كالمعاهدات التي كانت بينه وبين محيطه، واستلهم الخلفاء الراشدون من بعده ذلك في تنظيم العلاقات الإجتماعية والسياسية للطوائف والأجناس التي انضمت إلى المجتمع الإسلامي نتيجة الفتح.

وقد وصل الإتصال والتواصل إلى أوج سمته في ذلك التفاعل الذي قام بين رجال الفكر والثقافة المسلمين وبين نظرائهم من أهل الديانات السماوية والحضارات الأخرى.

ونجد أيضا نتائج الإتصال والتواصل منها المناظرات الدينية والثقافية، وأول مناظرة في الإسلام مع النصرانية المناظرة التي قام بها جعفر بن أبي طالب عند إتصاله بالنجاشي ملك الحبشة الذي بين له نظرة الإسلام للنصرانية ورموز مريم وعيسى عليهما السلام وكذا مناظرات عبد القاهر الجرجاني، ومناظرات أحمد ديدات حديثا وغيرها في القديم والمعاصر.

وتعتبر هذه المناظرات وسيلة هامة للتمكين لعملية التقارب والتفاهم ومن ثم التعايش السلمي والتعاون في ظل الإتصال والتواصل، وأن التسميات التي استخدمها الإسلام للديانات الأخرى تسميات تشريفية وتكريمية وهذا من شأنه أن يمهد لعملية التقارب وذلك مثل تسمية الدين اليهودي باليهودية إشتقاقا من قوله تعالى: «إنا هدنا إليك»⁽⁸⁾ أي تبنا ورجعنا إليك والتوبة والرجوع إلى الحق يشرف الإنسان وكذا النصرانية سميت بهذا الكلام - النصرانية - إشتقاقا من قوله تعالى: «نحن أنصار الله»⁽⁹⁾ الدين واحد والشرائع مختلفة.

ويتجلى لنا ذلك من خلال الآيات البينات التي توضح أن الأصول لا إختلاف فيها في دين الله مسيحيا أو يهوديا أو إسلاميا وهي: «التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحلة والتقرب إلى الله بصالح الأعمال والصدق

والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنى والأذية للخلق كيفما تصرف، فهذا كله مشروع ديني واحد وملة متحدة لم تختلف على ألسنة الأنبياء وإن اختلفت أعدادهم» (10) وهذا مما لم يختلف فيه الأديان السماوية ولم يدخله النسخ ولا التغيير في جميع الأديان لذلك فهو من الأصول الثابتة والدائمة، وأما ما نجده من إختلاف في الفروع في كيفية التطبيق مثلاً: الصلاة في الكنيسة والصلاة في المسجد كل بحسب طقوسه بدليل قوله تعالى: «**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى ويعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**» (11).

وقوله تعالى موضحاً أن لكل أمة شرعها الخاص بها ومنهاجها الذي تطبقه لحكمة أرادها الله «**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبؤكم بما كنتم فيه تختلفون**» (12).

فقد تبين لنا أن هناك أصولاً متفق عليها في كل الأديان السماوية، وهناك فروع: «تتعلق بمصلحة تخضع لظروف الزمان والمكان واختلاف الأحوال، فهذه المصلحة تختلف باختلاف الأجيال فيعترضها التبديل والتغيير» (13).

فالأصل الذي لا يتغير في كل الشرائع السماوية هو توحيد الله وعبادته والإمتثال إلى أوامره والإنتهاء عن نواهيه، فجاءت الرسائل مكملية ومتممة متتابعة داعية إلى الدخول في سبيل النجاة. في شرائع الحق والعدل من عهد سيدنا نوح إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (ص).

أقر الإسلام تنوع الديانات:

إن الإسلام أقر تنوع الديانات وبين إتحادها في الهدف والغاية والمقصد الأسمى في قوله تعالى: «**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبوراً، ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم**

نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً». (14)

وإن الإسلام دين متفتح ومنفتح على الديانات ليس له عقدة ضد الآخر ولا يستعلي عليها ويعترف لها بحقها في الوجود وأنه وإياها تصدر من مشكاة واحدة بدليل قوله تعالى: «إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً». (15)

كما أشاد بالتوراة وما فيها من نور وهدى في قوله تعالى: «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأجبار بما أستمظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء». (16)

وكما أشاد بالإنجيل وما في من هدى ونور في قوله تعالى: «وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الغاسقون». (17)

وقد عبر سيدنا المسيح - عليه السلام - عن ذلك كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه في القرآن الكريم «وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» (18) وأحمد هو سيدنا محمد الذي إسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد وهو محمود بينهما (ص).

إن العلاقة بين الرسالات السماوية هي إتصال وتواصل مستمر.

والقرآن وإن جاء بالذروة في المعارف الإلهية إلا أنه قد جاء بالتوحيد ذاته الذي جاء به نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وبالعقيدة ذاتها والكلمة ذاتها لا إله إلا الله.

يقول عيسى: « ما جئت لأنقض الناموس بل لأكمّله فلا تبدل ولا تطور
فيما جاء به أنبياء السماء». (19)

فكما ان عيسى - عليه السلام - لم ينقض ما جاء به موسى، فإن محمدا -
عليه الصلاة والسلام - ما جاء لينقض ما جاء به عيسى بل ليصحّحه ويكمّله
بدليل قوله تعالى: «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل
وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا
نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون». (20)

كما نجد أن المسلم في دعائه عند ختم القرآن الكريم يقول: «اللهم إستجب
دعاءنا بحق التوراة والإنجيل والزبور والفرقان» (21) وأن «رسل الله يصدق
بعضهم بعضا ويمهد السابق للاحق ما استطاع». (22)

إن القرآن الكريم أورد آيات كثيرة أن أهل الكتاب خاصة علماءهم
يعرفون حقيقة التوحيد وحقيقة ما أنزل على رسول الله (ص) بدليل قوله
تعالى: «لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من
قبلك والمقيمِينَ الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنوتهم
أجرا عظيما». (23)

ويتابع القرآن العظيم يبين عظمة الإيمان بالكتب السماوية «والذين آمنوا
بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف نوتيهم أجورهم وكان الله غفورا
رحيما». (24)

وقوله أيضا: «ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة
إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا». (25)

وقوله أيضا: «ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من
المسلمين». (26)

ويوضح القرآن الكريم قيمة الإسلام والإيمان به وبالكتب السابقة حيث
يقول الله تعالى: «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل

وإسحاق ويعقوب والأَسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»⁽²⁷⁾.

ويؤكد ذلك المولى سبحانه وتعالى في آيات كثيرة منها قوله: «فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنها هم في شقاق»⁽²⁸⁾.

وقوله تعالى أيضا في الإتصال والتواصل بين الرسالات السماوية: «ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس»⁽²⁹⁾.

وقوله تعالى: «...نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان»⁽³⁰⁾ وهذا تأكيد أن الديانات السماوية مصدرها واحد فلا تناقض بينها. ويخاطب الله نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله: «تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين»⁽³¹⁾ ومن خلال هذه الآيات وآيات كثيرة جدا لا يسمح المجال بكذرها إننا نستطيع القول أن قضية الإتصال والتواصل بين الرسالات السماوية موجودة بمعنى الكلمة حقيقة وصدقا ويقينا. ولكن يجب على الأديان أن تكمل بعضها بعضا، فقد مرت الأديان بمراحل تاريخية حيث كانت: «ديانة محدودة الزمان، وديانة محدودة المكان، تأتي لتصحيح جزئيات الأرض، فإذا إستعدت الأرض كلها وتصححت جزئياتها أمكن لدعوة عامة أن تجيء فتشمل الدنيا كلها زمانا ومكانا وتشريعا مستوعبا لكل قضية الحياة»⁽³²⁾ وهذا لا نجده إلا في الإسلام وليس معنى ذلك أنه ينفي وجود ديانات سابقة أو عدم صلاحية مشروعيتهما في الجوانب التي لم يمسهما التبديل والتحريف بدليل قوله تعالى: «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض

لا إله إلا هو يحيي ويميت فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يو من بالله وكلماته
لعلمكم تهتدون. ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون»⁽³³⁾.

وإنما جاء ليصحح لليهود والنصارى ما تعرضت له دياناتهم من تحريف
بسبب إنحرافات الإنسان ذاته، بل الإسلام لا يمانع في بقاء من أراد أن يبقى
على ديانته على أن يمارسها كما أرادها الله نقية خالصة بدليل قوله تعالى:
«وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة
للمتقين، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الغاسقون»⁽³⁴⁾.

وهكذا سيداتي سادتي الكرام يتبين لنا بطريقة مؤكدة لا يشوبها شك ولا
ريب في أن الإسلام لا يرفض لا الإتصال ولا التواصل بل دعا إليه، وألح عليه،
لعلمه بحاجة الإنسانية له في خدمة قضاياها، وتوظيف جهودها وتكثيفها
نصرة للحق ودفاعا عنه.

وهذه الحقيقة التي تشهد بها نصوصه في القرآن والسنة نذكر بأنه وحي
من لدن عليم خبير فالحمد لله على منه وفضله ان جعلنا دعاة وحدة واجتماع، لا
دعاة فرقة وصراع.

الخاتمة:

وكلمتي في الأخير يجب أن تكون مركزة على ضرورة الإتصال والتواصل
بين الرسائل السماوية الثلاث - الإسلام - المسيحية - اليهودية.

إن تاريخ الديانات السماوية منذ أول رسالة إلى آخر رسالة يؤكد لنا أنه
لا مناص لأهل هذه الديانات من التمازج قصد التقارب والتعارف فالتعاون
حيث أننا الآن وقد بلغنا القرن الواحد والعشرين وبعد أن أجتزنا فيما بيننا
فترة من الزمن قربت الفتي سنة كانت كلها صراعات فيما بيننا وأزهقت فيها
النفوس، وبددنا فيها الأموال، وكانت كل تلك الصراعات ترمي إلى بسط ديانة
واحدة وفرضها على الناس بالقوة والتسلط، فهل أدركنا غايتنا تلك؟

التاريخ نفسه يجيبنا على ذلك بالنفي ويؤكد مصداق قوله تعالى: «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم».⁽³⁵⁾

وكذلك قوله تعالى لنبيه الكريم: «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين».⁽³⁶⁾

وحقا ان الأمر على ما قاله الله وإذن أليس من الحري بنا أن نعود إلى رصانة العقل ونحكمه فيما بيننا؟ بل أليس الأولى بنا أن نعود إلى شرع الله ذاته الذي يؤكد أنه أراد لنا أن تختلف شرائعنا، وإن اتحدت عقائدنا، فنحن جميعا نؤمن بالله.

ألم يئن الأوان لكي نقر بحق الوجود لبعضنا البعض؟ إننا إن فعلنا ذلك قد حققنا إرادة الله التي قضت بهذا التنوع في الشرائع، ونكون قد حققنا حكم العقل الذي يقضي بأن التنوع هو الأصل وأن التماثل هو الشذوذ إذ أن القاعدة تقول «لو تطابق شيئان في مواصفاتهما تمام التطابق لألغى أحدهما وجود الآخر» قاعدة عامة معروفة.

إنكم جميعا سادتي سيداتي: تذكرون صراع اليهودية مع النصرانية، وصراع النصرانية مع الإسلام وتذكرون ما تمخض عن هذا التعصب ضد بعضنا البعض من شرور وكوارث، هل أغنت عنا شيئا أو نولتنا غاية؟ أبدا...

ما أثمرت لنا إلا أحقادا توارثتها الأجيال بعضها عن بعض وصرفتها صرفا عن النظر فيما يعود على أهلها بالخير في أجلهم وعاجلهم.

وها نحن اليوم سادتي سيداتي: بعد أن أنهكتنا تلك الحروب قد تأكد لنا بما لا يدع مجالا لشك شك أو ارتياب مرتاب أنه لا أحد يستطيع أن يقتلع الآخر ويزيحه عن طريقه ليحل محله.

وقد تأكد لنا نحن خاصة البلدان المحاذية للبحر الأبيض المتوسط.

وهنا أتحدث كجزائري لأؤكد أن دراسة تاريخ بلادي قد أكدت لي أنه لا

النصرانية تستطيع أن تنفرد بالسلطة في هذه البلاد ولا الإسلام يستطيع أن ينفي النصرانية في هذه البلاد.

وتاريخ هذه المدينة - وهران - التي إستضافت مؤتمرنا هذا، تذكرنا بذلك الصراع الذي دام ثلاثة قرون بين النصرانية ممثلة في الحملات الإسبانية والإسلام ممثلا في مقاومة أهل هذه المدينة لهم.

وهاهي اليوم إسبانيا تعيش في حدودها والجزائر تعيش في حدودها، والمسلمون يعيشون في إسبانيا مع أنها تحت السلطة المسيحية، والنصارى يعيشون في هذه المدينة مع أنها تحت سلطة تدين بالإسلام.

وإذن فلا النصرانية إقتلعت الإسلام، ولا الإسلام إقتلعت النصرانية، فلا مجال بعد هذه الحقيقة التاريخية إلا أن نسلم بأنه لابد من التفاهم والتعاون... ما دامت غلبتنا للآخر غير ممكنة بل هي مستحيلة لأنها كما أسلفنا ضد الإرادة الإلهية وضد الطبيعة وضد العقل، لأن الله يقول بالتنوع ويقرره في جميع الديانات، ولأن الطبيعة تقول بالتنوع وتثبته في واقعها في هذا الزخم من الموجودات المتباينة والمختلفة.

والعقل يؤكد أنه التنوع هو السبيل إلى جعل المعرفة ممكنة، فعن طريق الاختلاف والتعارض والتباين يتسنى للناظر تصنيف الموجودات وإعطاء كل فئة منها الرمز الذي يتيح لنا التعرف عليها.

إذن سادتي سيداتي: كفانا شقاقا وخلافا وتعالوا نعمل بقول الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله».⁽³⁷⁾

تعالوا سادتي سيداتي نحل في قلوبنا الحب بدل البغضاء التي استأثرت بنا حيننا من الدهر، فما أثمرت لنا إلا عداوة ما جئنا منها إلا أفدح الخسائر، وأبلغ النكبات وأشد الكوارث، ولنقتبس من حكمة الصوفي العربي الشهير الأندلسي المولد والنشأة، السوري الإقامة والمثوى الشيخ الأكبر محي الدين بن

عربي الذي اهتدى بصادق حدسه وعظيم إيمانه إلى أن الدين الحق هو الذي يثمر حب الله وعباده مهما تباينت أعراقهم وأختلفت دياناتهم، وهذا ما أكدته رسولنا محمد بن عبد الله الذي جعل حب الآخر شرطاً ضرورياً للإيمان حيث قال: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ».⁽³⁸⁾

وهذا ما أكدته الإنجيل الذي نص على أن « الله محبة ».⁽³⁹⁾

وهذا هو محي الدين بن عربي تتجلى له تلك الحقيقة فينشد في نشوة عظيمة مايلي:

كنت قبل اليوم أنكر صاحبي * إذا لم يكن ديني إلى دينه دان
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة * فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف * وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنني توجهت * ركائبه فالحب ديني وإيماني⁽⁴⁰⁾

الهوامش والمصادر والمراجع

- 1- سورة الحجرات - الآية: 13.
- 2 - سورة البقرة - الآية: 255.
- 3 - سورة البقرة - الآية: 147.
- 4 - سورة المائدة - الآية: 03.
- 5 - اليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ترجمة د / خلف محمد الجراد عالم المعرفة 215 - الكويت، 1996م، ص8.
- 6 - أحمد ديدات: المسيح والإسلام مقدمة الكتاب للدكتور محمد مختار، مكتبة ديدات، ودار الهدى عين مليلة - الجزائر، 1991م، ص:ج.
- 7 - سورة المائدة - الآية: 84.
- 8 - سورة الأعراف - الآية: 156.
- 9 - سورة الصف - الآية: 14.
- 10 - القرطبي 10/16، 11.
- 11 - سورة الشورى - الآية: 11.

- 12 - سورة المائدة - الآية: 50.
- 13 - يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة.
- 14 - سورة النساء - الآيات: 162، 163، 164.
- 15 - سورة النساء - الآيات: 149، 150، 151.
- 16 - سورة المائدة - الآية: 46.
- 17 - سورة المائدة - الآيتان: 48، 49.
- 18 - سورة الصف - الآية: 06.
- 19 - إنجيل يوحنا 16: 12.
- 20 - ديدات مرجع سابق، ص 66.
- 21 - مصطفى محمود الله، دار العودة - بيروت، 1972، ص 82، 83.
- 22 - دعاء ختم القرآن في آخر المصحف الشريف برواية ورش، الأزهر، 1964م - مصر، ص 163.
- 23 - محمد الغزالي عالمية الإسلام، دار الشهاب - الجزائر، 1985 ن ص 7.
- 24 - سورة النساء - الآية: 161.
- 25 - سورة النساء - الآية: 151.
- 26 - سورة النساء - الآية: 124.
- 27 - سورة فصلت - الآية: 32.
- 28 - سورة البقرة - الآية: 135.
- 29 - سورة البقرة - الآية: 136.
- 30 - سورة البقرة - الآية: 86.
- 31 - سورة آل عمران - الآيتان: 2، 3.
- 32 - سورة البقرة - الآية: 250.
- 33 - محمد متولي الشعراوي: هذا هو الإسلام كتاب الحرية 1، ط 2، 1985 - مصر، ص 88.
- 34 - سورة الأعراف - الآيات: 157، 158، 159.
- 35 - سورة هود - الآية: 118.
- 36 - سورة يونس - الآية: 99.
- 37 - سورة آل عمران - الآية: 63.
- 38 - حديث صحيح رواه البخاري ومسلم في مسنديهما.
- 39 - الإنجيل يوحنا، وفي كل الأناجيل أكدت ذلك.
- 40 - علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف - مصر، 1969م، ص 18.

كلام الله من خلال لغة العرب



أ.د. ميشال أمين عبد الكريم باربو
مدير معهد الدراسات العربية والإسلامية
كلية اللغات والأدب والحضارة الأجنبية
جامعة ستراسبورغ - فرنسا

حينما نقول "الله أكبر" معناه ان الله فوق مستوى الكائنات والعوالم والازمنة؛ معناه ان الله كمال بلاحدود، لابتداية له ولانهاية؛ كمال مطلق ولكي يفهم من طرف البشر بصفته كائن ضعيف محدود القوى العقلية والجسدية. محدود الوجود، أي انه ذو بداية ونهاية؛ فقد جسد الله سبحانه وتعالى خطابه المقدس في اداة من طبيعة الانسان من مستواه، ألا وهو اللغات الانسانية. فعدد اللفاظ محدود، وعدد احرف الكلمات محدود، وطول الجمل وعددها محدودان، وتتابع الجمل محدود ايضا. اذا فالمسألة التي تطرحها لنا الرسائل المنزلة هي توافق الكامل واللاكامل من أجل هدف سماوي قاعدته الايمان بوحدانية الله وبرسله وملائكته وباليوم الآخر وبوجوب عمل الصالحات للدنيا والآخرة. وما كان للانسان ان يفهم هذه القاعدة الالهية وتفصيلها لولا جسدها الحق تعالى في اللغات التي عبرها مر خطابه وفهم، وهي كما نعرف اللغات السامية.

إن الترابط بين التوحيد والعماد المادي للغات السامية هي حقيقة مؤكدة في تاريخ البشر؛ إلا أن أهم شيء يجب التركيز عليه في هذا الصدد والذي يهم موضوعنا هو اللغة العربية وآخر خطاب وجهه الله للبشرية جمعاء : القرآن الكريم، وهذا موضوع جذاب يستحق الدراسات الطويلة العميقة. اذا كانت اللغات البشرية اداة ناقصة محدودة الكم والكيف، فإن اللغة العربية، وإن ظلت هي الأخرى محدودة ناقصة ككل مخلوق إلا ان فيها شيئاً من الكمال. ان فيها نفحة من المطلق الطليق، شيئاً من الاتساع اللامحدود. لهذا فالجانب